خطاب العتبات أفق جديد لتحقيق المخطوط
(نحو مناص للمخطوط)

أد. عبد الحق بلعابد

جامعة قطر

الملخص:

يعد هذا البحث إسهاما جديدا لتطوير الدراسات النظرية والتطبيقية لتحقيق المخطوط، وهذا بالاستعانة بالدراسات النقدية الجديدة، الخاصة بتحليل الكتاب المطبوع، لهذا سنعتمد على الجهود النقدية لج.جينيت في كتابه(عتبات) التي ساهمت بمنظورها النقدي في متابعة تطور الكتاب الغربي منذ أن كان مخطوطا حتى صار مطبوعا، فتحليلنا لعتبات الكتاب المخطوط العربي ستمكننا من تطوير عملية تحقيقه مثلما كان عند الغرب، وهذا ما سميناه بمناص المخطوط، الذي سيعد بحثا جديدا في تحقيق المخطوط وصناعته.

الكلمات المفاتيح: العتبات – المناص – المخطوط – مناص المخطوط.

Abstract:

This research is a new contribution to the development of theoretical and practical studies to realize the manuscript, using the new critical studies of the analysis of the printed book, for which we will rely on the critical efforts of G. Gennette in his book "Thresholds ". This has contributed to the critical perspective in the follow-up development of the Western book since it was written until it is printed, so our analysis of Arabic manuscript thresholds will allow us to develop the realization process as it was in the West, and this is what we called the paratext of the manuscript, which will prepare a new search in the realization of the manuscript and its industry.

Keywords: thresholds - paratext - manuscript - paratext of the manuscript.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

- **المقدمة:**

غايتنا من هذا البحث؛ أن يكون إسهاما في تطوير الدراسات النظرية والتطبيقية التي تهتم بتحقيق المخطوط العربي؛ نظرا إلى حاجة هذه الدراسات إلى تراكم معرفي، لكي تستقيم نظرية واضحة المعالم بيّنة المفاهيم، حتى تواكب التطور التكنولوجي الحاصل في الحياة العلمية، وهذا كله لتحقيق هدف أسمى: صيانة ذاكرة الأمة المتمثل في مؤلفات علمائنا المخطوطة في عديد العلوم.

ومن هذا المنطلق يقدم البحث بعض العون النظري للمشتغلين في مجال التحقيق، قد يجد لديهم سبيلا للتطبيق، يتعلق الأمر بتحديد آليات جديدة لتحقيق المخطوط العربي، وتطوير وسائله الموجودة حاليا، وكل هذا لا يتأتى إلا بالانفتاح على مجالات بحثية ودراسات علمية تطرح في العالم الآن، لإعادة استنطاق ما تركه لنا أرباب صنعة النسخ والوراقة والإنشاء.

لقد استعرنا في البحث بعض الإجراءات العلمية من حقل الدراسات النقدية، سعيا منّا لتطوير عملية التحقيق، معتمدين أساسا على كتاب المفكر والناقد الفرنسي (ج. جينيت) عتبات، الذي أسهم هو الآخر من منظوره النقدي في متابعة نشأة الكتاب الغربي وتطوره مخطوطا ومطبوعا، قصد تحقيق علميته من جهة، وجماليته من جهة ثانية، فعمدنا إلى المقاربة والمقايسة بين عمله على الكتاب الغربي (الأدبي منه تحديدا)، ومصطلحاته الجديدة التي جاء بها، وبحثنا في الكيفية التي تمكننا من الاستفادة من هذه الأطروحات وتطبيقها على الكتاب العربي المخطوط، بعدما تحققنا من فائدتها الجمّة في بحوثنا عن الكتاب العربي المطبوع.

1- مفهوم مناص المخطوط:

مناص المخطوط، هو تلك الخطابات الداخلية والخارجية التي تصاحب المخطوط، ذلك المؤلف المكتوب بخط يد صاحبه[1]، وهو يستعيد بهذا التعريف مفهوم المناص عامة عند (ج. جينيت)، إلا أنه يفارقه من ناحية اشتغاله على دعامة مادية غير مطبوعة؛ أي قبل أن يصير المخطوط كتابا مطبوعا. ويمكننا أن نسمي هذا المناص، الذي لم يضعه (جينيت) من بين أنواعه الكبرى، بمناص المخطوط (paratexte de manuscrit)؛ أي ذلك المناص القبلي (*avant- paratexte*) الذي نعاينه قبل مرحلة الطباعة والنشر، وهو بذلك يحمل نصا قبليا (*avant – texte*) ينتظر الطباعة والشر.

ونسعى في هذا البحث؛ أن يكون ما نشتغل عليه من الإضافات المهمة التي تساهم في تطوير تحقيق المخطوط وفهرسته، وذلك باعتماد ما جاء به (ج.جينيت) في كتابه (عتبات) المستعينة بمقتضيات التكنولوجيات الطباعية الحديثة، وتطويعه لمقتضيات صناعة الكتاب قديما وحديثا، وبذلك نحدث آلية جديدة لتحقيق المخطوط، دون إغفال

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

ما جاء به أصحاب دواوين الإنشاء والوراقة، وجهود النساخين في العصور العربية الإسلامية، الذين أسهموا إسهاما كبيرا في إخراج عيون المخطوطات العربية.

وباستقرائنا لمعجم مصطلحات علم المخطوط العربي، يمكننا أن نضيف بعض الأنواع المتشققة عن مناص المخطوط:

1- المناص الأصلي (للمخطوط)[2]: وهو ذلك المخطوط الذي نسخه المؤلف بيده (outographe)، أو أشرف على نسخه، وهو النسخة الأصلية التي لابدّ للمحقق والمفهرس أن يعتمداها.

2- المناص المتأخر (أو نسخة عن المخطوط)[3]: وهو المخطوط الذي نسخة في زمن المؤلف أو قريب منه، أو نسخة من أمالي المؤلف، وكانت تعرف، بالنسخة الدستور أو النسخة العالية.

3- المناص المنسوب[4]: وهو المخطوط المنقول عن المخطوطة الأصلية التي كتبت بخطّ المؤلف.

4- المناص المجهول (المخطوط المبهم) [5]: وهو المخطوط الذي لم يعرف صاحبه، ولم ينسب لأحد الكتاب، وهذا بسبب بتر في أوله أو آخره أو كليهما، ويسمى المخطوط المبتور أو المعيب.

5- المناص المتعدد (المخطوط المرحلي) [6]: وهو المخطوط الذي ألّف على مراحل متعددة، وبذلك تعدّدت نسخه، وستتعدد عتباته أيضا، وهذا مثل كتاب ابن خلكان وفيّات الأعيان الذي ألّف على مراحل، وجدّدت منه نسخ متعددة.

إلا أننا في بحثنا هذا سنعتمد المناص الأصلي فقط الذي تظهر في عتبات النص المخطوط؛ لأنه يفترض فيه توفّر أهمّ المصاحبات النصية التي تعين المحقّق للوصول إلى الصورة الأقرب التي كان عليها الكتاب في زمن تأليفه.

وعليه كما عرفنا سابقا أنّ للمناص العام قسمين أساسيين، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المناص المخطوط، فقسماه الأساسيان هما: النص المحيط، والنص الفوقي، وسنركّز في هذا البحث على أهم عناصر النص المحيط؛ لأنه تكشف لنا هذه الصورة عن المخطوط زمن تأليفه من جهة، ومن جهة ثانية ما أولاه المحققون لها.

2- النص المحيط للمخطوط (***peritexte*** **de manuscrit**):

وهو ما يدور في فلك النص من مصاحبات من اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، الإهداء، الاستهلال...[7]؛ أي كل ما يتعلّق بالمظهر الخارجي، غير أنّنا لا نجد بعض المصاحبات الحديثة مثل الصورة المصاحبة للغلاف، وكلمة الناشر في الصفحة الرابعة للغلاف، وتندرج تحته نصوص ثواني هي[8]:

1- النص **المحيط النشري**: ***peritexte Editorial***

والذي يضم تحته كل من (الغلاف، الجلادة، كلمة الناشر، والسلسلة...)، وقد عرفت تطورا مع تقدم الطباعة الرقمية.

2-النص **المحيط التأليفي**: ***peritexte auctorial***

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

والذي يضم تحته كلا من (اسم الكاتب، العنوان، العنوان الفرعي، العناوين الداخلية، الاستهلال، التصدير، التمهيد...).

وهذه العناصر التي اشتغل عليها (جينيت) في كتابه وهو يقارب النصوص الأدبية، وهو يتبع التقاليد الكتابية الغربية من المخطوط إلى الكتاب، يمكن أن يستفيد منها المحقّق والمفهرس، وهذا ما أخذ منهم جهدا كبيرا، وما نقدمه من جهد متواضع لخطاب العتبات يمكن أن يسهم في تطوير دراسة المخطوط وتحقيقه، وسنعمد هنا لأهم عناصر النص المحيط للمخطوط ونقاربها، مركزين كما أسلفت على أهمها، خاصة تحقيق اسم مؤلف المخطوط، وتحقيق عنوان المخطوط:

2-1- تحقيق اسم مؤلف المخطوط:

يعد اسم المؤلف من بين أهم عناصر خطاب العتبات، المحددة لهوية الكتاب وصاحبه، لدلالته على الملكية الأدبية والفكرية للكاتب، سواء حمل اسمه صراحة، أو ورد باسم مستعار، أو بأحد أسماء الشهرة[9]، لهذا أولاه المحققون العناية الفائقة، لما رأوه من أهمية في تحقيق المخطوط لصاحبه، ومعرفة عصر المؤلف، وسياقاته الثقافية والعلمية والاجتماعية، فهو ركن مهم عند المحقّق والمفهرس[10].

لهذا عمد المحققون إلى وسائل متعدد لتحقيق اسم المؤلف في حال غيابه من ورقات المخطوط، أو نسبته له:

الحالة الأولى: التثبّت من اسم الكاتب في حالة نسبة المخطوط له، وتأخذ عدة وجوه[11]:

1- إما أن يكون المؤلف نسخ الكتاب بيده.
2- أو أملاه على أحد طلبته، وتكون قريبة من عصر المؤلف.
3- أو طالب علم رحل للمؤلف ونسخ الكتاب عنه.
4- أو أنّ أحد النساخ قام بنسخها عن أحد هذه النسخ.
5- هناك حالة أخرى، وهي أنّ الكتاب نسخ في غير بلد المؤلف، إما بإملائه أو نسخه طلبته أو أحد الوراقين.

ويمكن أن نلاحظ أن هذه الحالة تطرح مشكلة عند المحقّق في نسبة المخطوط لصاحبه.

- الحالة الثانية: في حالة جهالة اسم مؤلف المخطوط، وهذا ما سماه (جينيت) باسم المجهول (*anonymat*)[12] لصاحب المخطوط، والتي تعدّ من بين المشكلات العصيبة التي تواجه المحقّق والمفهرس، وعليهم حلّها بداية، وهذا بالرجوع إلى كتب التراجم والسيّر، وفهارس المخطوطات، والبيبليوغرافيات، قصد التثبت من اسم صاحب المخطوط، بالاعتماد على[13]:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

1- القراءة المتأنية، للوقوف على القرائن الدالة على هوية الكاتب، من خلال معرفة عصره والنقول التي يستشهد بها.

2- إذا كان الكتاب في الحديث، فعلى المحقّق تتبع الراوي وسلسلته، لمعرفة الطبقة التي أخذ عنها المؤلف، وهنا يتم الرجوع إلى كتب الأسانيد والطبقات والتراجم والبرامج.

3- التركيز على موضوع الكتاب، وتحقّق منه؛ لأنّه المرشد لمعرفة مؤلفه، من خلال عصره، وأسلوبه الكتابي، وهذا بالرجوع إلى الفهارس وكتب التاريخ.

وفي حالة عدم وجود اسم المؤلف بعد جهد البحث ومشقة التتبع، يكتب عند فهرسة المخطوط عبارة (لمؤلف مجهول) [14] أو اسم المؤلف لم يعرف بعد.

- الحالة الثالثة: الالتباس في اسم الكاتب، إما لتوافق العناوين، وإما لتطابق الأسماء، وإما لتقارب الكنى:

وتعدّ هذه من المشكلات الكبرى التي يواجهها المحقّق والمفهرس على حدّ سواء، وقد نظر إليها (ج. جينيت) في عتباته، تحت مسمى الأشكال التي يتّخذها اسم المؤلف في الأعمال الأدبية[15]، فاسم المؤلف إما أن يكون حقيقيا دالا على صاحبه، وإما أن يكون مستعارا للفن أو للشهرة:

1- فالالتباس الحاصل للناسخ والمحقّق في اسم الكاتب الذي مردّه توافق عناوين الكتب وحتى الموضوعات، ومن أمثلة ذلك، توافق عنوان (إكمال تهذيب الكمال) لسراج الدين عمر بن علي بت أحمد (ابن الملقن)، ولعلاء الدين مغلطاي (ت 762هـ)، كتاب بالعنوان نفسه، إلا أن الناسخ في نهاية نسخة ابن الملقن (ت804هـ)، ذكر أنّ وفاته سنة (762هـ)، ظنّا منه أن مخطوطة (إكمال تهذيب الكمال) التي قام بنسخها هي لعلاء الدين مغلطاي.

لهذا؛ على المحقّق أن يحذر من مثل هذه المزالق، من خلال اطّلاعه على نصّ المخطوطة ليعرف صحة نسبها من حيث تاريخ التأليف، وأسلوب الكاتب، والأعلام الواردة فيها، والتقييدات والسماعات والإجازات والتمليكات التي عليها، وكل ذلك يعدّ من المؤشرات النصية المساعدة للمحقق للكسب عن هوية صاحب النص وتحقيق اسمه، والأمثلة كثيرة عن غلط النساخ والمحققين في تنسيب كتب لغير أصحابها، وبخاصة في عناوين كتب الأشباه والنظائر التي ألف تحت هذا العنوان كتاب عديدة في علوم كثيرة أيضا.

2- الالتباس الحاصل في تطابق الأسماء وتقارب الكنى، وهنا لا بد من الدربة على قراءة كتب الطبقات والأنساب والتراجم والسيّر، فربّما وقع اسم المؤلف بأشكال متعددة، حدّ المغايرة، وهذا راجع إلى البنية التركيبية للاسم العربي، الذي يشتهر أحيانا:

- بالاسم الشخصي:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

- مالك ابن أنس
- أحمد بن حنبل
  - أو بالكنية:
- أبو النواس
- أبو علي الحسن بن هانئ
  - أو باللقب:
- الجاحظ، عمرو بن بحر
  - أو بالنسبة:
- كالنسبة إلى القبيلة: الكندي، محمد بن يوسف
- النسبة إلى المكان: البغدادي، الخطيب البغدادي
- النسبة إلى أحد الأبوين أو الأجداد: ابن هشام، أبو محمد عبد المالك، ابن حزم، أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد
- النسبة إلى المذهب: الحنبلي، الشافعي، المالكي
- النسبة إلى الفرق: الأشعري، المعتزلي
- النسبة إلى الحرفة: النجار، الزجاج، الوراق
- النسبة إلى العاهة: الأعشى، الضرير
  - أو يكون الاسم مستعارا:

مثل القاعاني، حبيب الله الشيرازي

أما الضابط في تحقيق اسم العربي لصاحب المخطوط، هو التركيز على ما اشتهر به صاحب المخطوط في مؤلفاته، أو بين العلماء وطلبته، فيتم تسميته به، وبه يثبت في الفهارس المعتمدة، وهذا ما اعتمدته الكثير من المصادر المتخصصة في التراجم والأعلام، وعلى رأسها كتاب الأعلام للزركلي وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وضبط الأعلام لأحمد تيمور باشا وغيرها.

2-2- تحقيق عنوان المخطوط:

يعدّ العنوان من أهم عناصر خطاب العتبات؛ إن لم نقل الأهم على الإطلاق، لما عرفه من كثرة الدراسات في عديد التخصصات في هذا القرن، ويكفي ما أشار إليه (ج. جينيت) في عتباته[16]، فهو مفتتح كل كتاب، وأول كل

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

خطاب، فلا يخلو كتاب من عنوان دال عليه، كاشفا عن معناه من بدايته، لهذا فقد تأنق فيه منذ القديم الشاعر والناثر، كما أولاه أهل دواوين الإنشاء، وأرباب الترسل العناية الفائقة، وازدادت هذه العناية بعد الفتوحات العلمية والتكنولوجية الحديثة، حتى أصبح للعنوان علما قائما بذاته يسمى (علم العنونة أو العنوانيات)، أسسه لوي هويك، ووضع فيه كتابا سماه (سمة الكتاب)[17]، الذي قدّم فيه حدوده ومحدداته، وضبط مكان تواجده، ووقت ظهوره، وكيفية اشتغال وظائفه، وهو يعرفه بقوله: "**مجموعة العلامات اللسانية، من كلمات و جمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه و تعينه، تشير لمحتواه الكلي، و لتجذب جمهوره المستهدف**"[18].

ولن يخرج عنوان المخطوط عن هذا التعريف، كونه سمة أو علامة للكتاب[19]، والفرق بينه وبين عنوان الكتاب المطبوع، كون العنوان قبلي (*avant- titre*)؛ أي ذلك العنوان قبل طباعة المخطوط ونشره، لهذا نجد هذا العنوان المخطوط، تعتريه كثير من التغيرات والتبدلات، بحسب نسخ المخطوط الواصلة إلينا على عكس الكتاب المطبوع، لهذا ربما يغيب عنّا عنوان النسخة المخطوطة، وهنا يقع المحقق أمام مشكل مضاعف، فعليه أن يتحرّى عن أمور منها:

1- مكان ظهور عنوان المخطوط:

لن يجد الباحث في العصور القديمة قبل ظهور الطباعة والثورة العلمية والمعلوماتية في صناعة الكتاب، مكانا محددا للعنوان أو اسم الكاتب؛ لأن الكتب كانت في ذلك الوقت عبارة عن لفافات ورسائل مختومة، يكون فيها العنوان عبارة عن ملصقة تلصق بهذه اللفافة مثبتة بزر[20].

فكان العنوان يعرف إما من بداية النص أو من نهايته، حيث كانت المخطوطات قبل ظهور الطباعة لا تحمل صفحة العنوان، لهذا يبحث عن العنوان في نهاية المخطوط مع اسم الناسخ، وتاريخ نسخه.

ولم تظهر صفحة العنوان (*page de titre*) إلا في سنوات (1475-1480)، وبقيت لمدة طويلة حتى تطورت صناعة الكتاب، ليظهر الغلاف المطبوع، وبهذا يمكننا تحديد مكان ظهور العنوان وباقي المؤشرات الطباعية في صفحة العنوان وهي تردف بالعنوان الجاري (*titre courant*)[21].

أما عند علماء التحقيق عندنا فقد دار خلاف كبير حول وجود صفحة العنوان في المخطوط العربي من عدمها، فالدكتور عبد الستار الحلوجي، يذهب إلى أن صفحة العنوان لم تك موجودة في بواكير المخطوطات العربية، وكل ما وجد هو من عمل النساخ المتأخرين، والعنوان كان يأتي في المقدمة وفي نهاية المخطوط[22]، وقد حمل هذا الرأي الدكتور قاسم السامرائي، الذي يرى عكسه تماما، فهو يؤكد أن: "المخطوطان القديمة الكثيرة التي وصلت إلينا، وهي تحمل العناوين في أولها، وفي كراساتها، تنقض هذا الرأي، لأن الأمم التي سبقت الإسلام من اليونان الرومان والفرس وغيرهم، كانت تعرف نظام عنونة كتبهم، فلما استقر المسلمون في الشام والعراق وتوغلوا في الهند والسند لم يكن الأمر غريبا عليهم أن يقعوا على كتب معنونة، ولذلك قال النديم: ولكل كتاب ورسالة اسم يسمى بها"[23].

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

غير أن جهود الدكتور عباس أرحيلة، سعت للتوفيق بين الرأيين بحيادية وموضوعية[24]، ليرى أن أصل الاختلاف أن كل عالم يريد أن يتحرى الدقة وصون الأمانة في تحقيق العنوان لصاحبه، ليخرج المخطوط على أكمل وجه كما كان زمن تأليفه، وخاصة عنوانه لأنه هويته التي يعرف بها الناس.

لهذا أصبح من الراسخ في تقاليد نسخ الكتب أن يكتب العنوان أيضا في الصفحة الثانية، لكيلا يعبث به، ولا تمسه يد الإتلاف[25]، لهذا يقول السيد النشار أنه: "... مع مرور الزمن أصبح النسّاخ يفردون صفحة منفصلة تعدّ خصيصا لكتابة المخطوط واسم مؤلفه، بل إن بعضهم كان يتفنّن في زخرفة صفحة العنوان، باستخدام الأشكال الهندسيّة والنباتية، وكتابة العنوان بخطوط متقنة"[26]، وهذا ما لم يخرج عنه علم الاكتناه (كوديكولوجي)، ولم تخرج عنه أيضا التقاليد الطباعية الحديثة لنشر المخطوطات؛ إذ جعلت للعنوان أربعة مواقع:

1- الصفحة الأولى للغلاف
2- في ظهر الغلاف
3- في صفحة العنوان
4- في الصفحة المزيفة للعنوان

وبهذا تظهر أهمية موقعة العنوان من الكتاب المخطوط، لإثبات هوية النص وتمييزه عن غيره من الكتب، وهذا ما تحركه وظيفته التعيينية[27] التي تقضي بتعيين اسم المخطوط عند المحقق، لتتجاوزه بعدها لوظيفته الجمالية عند الورّاقين والنسّاخين للعمل على تزيين وتزويق وتذهيب صفحة العنوان وما حولها.

2- وقت ظهور عنوان المخطوط:

لا يطرح عنوان المخطوط مشكلا إذا كانت المخطوطة وصلت سليمة كاملة مكتوبة بخط المؤلف، أو أحد تلاميذه بعد ما عرضت على المؤلف، أو من قابلها من النساخ على نسخة المؤلف الأصلية وذكر ذلك صراحة، بذلك يمكن أن يطمئن المحقّق ويثبت عنوان المخطوطة الصحّي، ويمكن أن نختصرها في التالي:

- أن تكون النسخة أصلية بيد المؤلف
- أن تكون نسخة لأحد تلاميذه، صححته عليه
- أو أن تكون نسخة متأخرة قابلها ناسخ على الأصل وأثبت ذلك

غير أن المشاكل والصعوبات تبدأ إذا كنّا أمام عنوان عدمي؛ أي أن المخطوطة جاءت مبتورة من الأول والأخير، وهي مواضع غالبا ما يذكر فيها العنوان، أو أن المؤلف مات عن مسودة كتابه دون أن يكملها أو يصححها.

أولا: أسباب صعوبة التحقق من صحة العنوان:

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

وهنا يطرح المحقق سؤالا جوهريا، وهو كيف يمكنني التحقّق من صحة العنوان ونسبته لصاحبه، وهذه من أخلاقيات المحقّق والمفهرس، في التحقّق من صحة العنوان ونسبته لصاحبه[28]:

1- تصرف بعض النساخ بعناوين المخطوطات التي على أغلفة الكتب بالزيادة أو الاختصار، أو الاكتفاء بما اشتهر به، ومنهم من يتساهل في نقل طرز الكتب وواجهاتها حرفيا، وربما وجدنا بعض صفحات العنوان قد طمست، أو تلفت، فيعمد النساخ إلى وضع واجهات أخرى دون ذكر العنوان الحقيقي، مكتفين بما اشتهر به، أو بمختصراته. وأهم مثال دال على هذه الحالة، ما أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) في كتابه (النكت على كتاب ابن صلاح) من اسم كتاب عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ز(ت 255هـ)، حيث قال: "ثم وجدت بخط مغلطاي، أنه رأى بخط الحافظ أبي محمد المنذري ترجمة كتاب الدارمي بالمسند الصحيح الجامع، وليس كما زعم، فلقد وقفت على النسخة التي بخط المنذري، وهي أصل سماعنا للكتاب المذكور، والورقة الأولى منه مع عدة أوراق ليست بخط المنذري، فاشتبه على مغلطاي، وليس الحصني من أحلاس هذا الفن، حتى يحتج في ذلك"[29].

2- ضياع الورقة الأولى، أو الأخيرة، أو بعض من أوراق صفحة العنوان، أو المقدمة التي تحتوي على اسم المؤلف وعنوان كتابه، وتاريخ نسخه، ومكان نسخه، لهذا وجب على المحقّق والمفهرس أن ينتبها لهذه الأشياء ويدقّقا فيها انطلاقا من:

أولا: تحري معرفة عصر المخطوط انطلاقا من نوع الورق والخط والحبر، لأنها العناصر المادية.

ثانيا: معرفة موضوع المخطوط (فقه، تاريخ، أدب....)

ثالثا: القراءة المتدبّرة للمخطوط، قصد كشف المؤشرات النصية الدالة على المؤلف أو عصره أو مؤلفاته أو شيوخه، وكذلك تتبع أسلوبه اللغوي.

رابعا: الرجوع إلى كبريات الفهارس العالمية المعترف بصحتها، لمقابلة ومقارنة المخطوط بها، لأنها تورد فيها حتى الأبواب والفصول الخاصة بالمخطوطات، مثل فهرست مكتبة برلين، أو المكتبة الظاهرية سابقا.

خامسا: مقابلة المخطوط بعد قراءتها بالمخطوطات التي تقع في نفس فنّها أو موضوعها، لنهتدي إلى معرفة عنوانها أو الإشارة إلى مؤلفها.

ثانيا: طرائق التعرّف على العنوان الصحيح للمخطوط:

يمكن جمع طرق الاهتداء إلى العنوان الصحيح للمخطوط، فيما يلي[30]:

1- العثور على نسخة للمخطوط بيد المؤلف نفسه، أو أثرا لعنوانه على صفحة العنوان، وهي من أقوى الحجج الدالة على أن العنوان الحقيقي جاء في مناصه الأصلي.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

2- ذكر المؤلف لعنوانه صراحة في خطبة كتابه أي مقدمته، وهذا من أعراف تأليف الكتب، فكان الكاتب إذا أراد ختم مقدمة كتابه قال: "وسميته بكتاب كذا... أو هذا الكتاب المسمى بكذا...."، وهي عبارات صريحة باسم الكتاب.

3- أن يذكر اسم الكتاب صراحة في سياق النص بعد المقدمة.

4- أن يذكر اسم الكتاب في نسخة صحيحة مقابلة على نسخة المؤلف، وقد شهد بصحتها كبار العلماء الذين اعتمدوها في نقولهم وسماعاتهم، وهذه من أقوى الحجج أيضا.

5- أن يذكر المؤلف اسم المخطوط في مصنفاته الأخرى، ولهذا على المحقّق أن يطلع على مؤلفاته كلها، علّه يقع على اسم للكتاب أو إشارة دالة عليه.

6- أن يذكر المؤلف اسم كتابه في خاتمته، كقوله: " تم كتاب كذا...أو وبعد فراغنا من كتاب كذا... أو انتهينا من كتاب كذا..."، أو أن يشير إليه في سماعاته إن كان من نسخ السماعات.

7- أن يلجأ المحقق إلى الفهارس والبرامج والإثباتات والمشيخات والبيليوغرافات التي تتخصص بتتبع أسماء المؤلفات لتحقيق العنوان، لأنها ربما تعرّضت لمرويات صاحب الفهرست. وهذا ما رأيناه مثلا في فهرست ابن خير الإشبيلي (ت 575هـ)، من أهم البرامج ضبطا وتثبّتا من الاسم الصحيح للكتاب وصاحبه، والشاهد في ذلك تحقيقه، نسبته العناوين الصحيحة لكل من صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وشرح مشكل الآثار للطحاوي وغيرها[31].

8- البحث في كتب التراجم والطبقات والتاريخ، لأن الكثير منها اعتنت بتوثيق اسماء الكتب والكتاب، عند ترجمتهم لهم.

9- معرفة المحقّق للأسلوب اللغوي للمؤلّف، والخصائص العامة لعصره، وتمحيصه لمقدمات وخواتيم مؤلفاته، سيفضي به للوصول إلى العنوان الصحيح الذي كان ينسج عليه عناوين مؤلفاته.

ثالثا: والمشكل الذي يعيق المحقّق أيضا كثرة العناوين لمخطوط واحد، واختيار المؤلف لعنوانين لكتابه:

وهذا ما أشار إليه (ج. جينيت) في عتباته، وتحديدا في معرض حديثه عن تلك العناوين الوقتية التي تكون ما تزال تختمر وتتشكل في ذهن المؤلف، فهل يمكن القبض عليها، أو على تلك التردّدات التي كانت تحيط بالكاتب، وهو يقوم باختيار عنوانه[32].

وهذا ما ينسحب أيضا على دور المحقّق، الذي يجد اختلافا كبيرا في بعض عناوين المخطوط الواحد، وهو لم يكن حاضرا زمن اختيار الكاتب لعنوانه، ولا داخلا في ذهنه والعنوان يتشكل فيه، لهذا عليه اتباع الآتي[33]:

أ- أن يثبت العنوان الذي يكون على صفحة نسخة تلميذ المؤلف، أو على أوثق النسخ وأقدمها وأصحها.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

ب- اعتماد العنوان الأكثر شهرة ودورانا عند أهل العلم، والمتواتر في المصادر المتخصّصة.

وسنقف على بعض الحالات التي تشابه ما ذكره (ج.جينيت) في كتابه، وهو لما يكون للمخطوط أكثر من عنوان بفعل اختيارات المؤلف نفسه، أو بفعل بعض النساخ:

الحالة الأولى: أن تقع للمخطوطة على أكثر من عنوان في النسخة نفسها: الأول على صفحة الغلاف، والثاني في المقدمة، والثالث في الخاتمة، فعلى المحقّق والمفهرس الانتباه وأخذ الحذر، بأن المعتمد في العنوان، ما جاء في مقدمة الكتاب بدءا، لأنه الكان الطبيعي لورود العنوان عند المؤلفين، ويتبعه في الأهمية العنوان الوارد في خاتمة المخطوط، وهذا بعد التيّقن من ذلك في الفهارس، وعديد المصادر القوية.

الحالة الثانية: ربما يصادف المحقّق والمفهرس مخطوطا يحمل أكثر من عنوان واحد، وهذا ربما يكون من عمل الكاتب الذي يضع عناوين مؤقتة يختار بينها، أو يضع لكتابه عنوانين بالأساس، كما يحتمل أن يضيف بعض النسآخ عنوانا أصليا للمخطوطة أو عنوانا شارحا لها، ومثال ذلك:

- أنّ بعض الكتاب يعدل عن عنوان كان قد وضعه لكتابه ليختار له عنوانا آخر يرتضيه، ويذكر ذلك صراحة، فيكون العنوان الأخير (أو العنوان المتأخّر بتعبير جينيت) ناسخا للأول، ولا بد من اعتماده، مع الإشارة إلى الذي كان قبله، وهذا ما عمله الحافظ الذهبي (ت 747هـ) في عنوان كتابه (تاريخ الإسلام)، حيث كان عنوانه الأول (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام)، ثم غيّر لفظ "طبقات" إلى "وفيات"، ليكون اسم كتابه (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام)[34]، مثله عمل السخاوي في عنوان كتابه (المقاصد المباركة في إيضاح الفرق الهالكة)، فقد ذكره في ترجمته الذاتية في كتابه (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)، ثم عقب قائلا: "بل استقر اسمه على رفع القلق والأرق بجمع المبتدعين من الفرق"[35].
- وقد وقع لبعض العلماء أن سمى كتابه باسمين أو أكثر، ليترك للقارئ حرية الاختيار من بينها، وهذا ما عرف به الشيخ أبو الفضل محمد خليل بن علي المرادي (ت 1206هـ) في عنوان كتابه (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر)، حيث جاء في خطبة كتابه ما يلي: "سميته أخبار الأعصار في أخيار الأمصار، ويليق أن يسمى سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"[36] وقد هجر الأول، ولولا اشتهاره بالثاني لكان الأول أوفق تسمية، فوجب على المحقّق والمفهرس أن يشيرا لهذه اللطائف التي يضعها الكاتب.

وهذا أيضا ما حصل مع العلامة شهاب الدين القرافي (ت 682هـ) صاحب الفروق في الفقه، عنوان كتابه هذا إذ عنونه بداية بـ (أنوار البروق في أنواع الفروق)، ثم أورد في مقدمة كتابه قوله: ".... ولك أن تسميه كتاب الأنوار والأنواء، أو كتاب الأنوار والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، كل ذلك لك"[37]، والأمثلة عديدة، يمكن أن نشير فقط إلى شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ) الذي كان يعنون مؤلفاته بأكثر من عنوان، من

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

مثل (بيان الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية)، وقد سماه باسم آخر هو (تخليص التلبيس من كتاب التأسيس)، وفي مثل كتابه (الرد على نصارى)، الذي سماه أيضا (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

لهذا كله على المحقق والمفهرس أن يتحليا بأعلى صفات الدقة؛ لأن المسؤولية كبيرة في تحقيق العنوان، لهذا وجب عليه ألا يكتفي بالعنوان ومواقع وروده، بل يستقصي عنه في العديد من الفهارس والبرامج وغيرها، لأن الكتاب قديما كثيرا ما تخوفوا من عدم صون العنوان والكتاب على حدّ سواء من عمل النساخ والوراقين، والمحققين الآن، فنجدهم يتوعدون، ويدعون على كل محرف مصحف، ويحمّلونه المسؤولية، وهذا ما ذكره العديد من الكتّاب في مقدماتهم وثنايا كتبهم، وهذا ما نقف على مثال له في مروج المسعدي "فمن حرّف شيئا من معنى هذا الكتاب، أو أزال ركنا من مبناه، أو طمس واضحة من معانيه، أو لبّس شاهرة من تراجمه أو غيره، أو بدله، أو انتحله، أو اختصره، أو نسبه إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، أو أسقط منه ذكرنا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عن صبره ويحار له فكره، وجعله الله مثله للعالمين، وعبرة للمعتبرين... وقد جعلنا هذا التخويف في أول كتابنا هذا وآخره، وكذلك نقول في سائر ما تقدم من تصنيفنا، ونظمناه من تأليفنا، فليراقب أمر ربه، ويحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى الله المصير"[38]، لهذا على المحقّق والمفهرس الحذر من إضاعة الأمانة والتفريط في الروح العلمية.

- **الخاتمة:**

بعد طول تأمل في هذا المبحث المعرفي المتواضع، الذي سعينا فيه منذ البداية إلى وضع معالم لتطوير تحقيق المخطوط العربي بالاعتماد على ما جاء به (ج. جينيت) في عتباته، باعتبارها مداخل مهمّة وجديدة لتحقيق المخطوط العربي وفهرسته، وبناء مصطلح جديد داخل المعجم المصطلحي للمخطوطات ، لم يشتغل به –كثيرا–من قبل الباحثين في التخصص– نقصد (مناص المخطوط/ *paratexte de manuscrit*)– مراعين في ذلك خصوصياته الشكلية والمضمونية؛ لأن المخطوط ميراث أمة يحمل ويحمي ذاكرتها الثقافية في الكتابة والتأليف.

لهذا علينا أن نعود دائما إلى أرباب الصنعة لنقارب ونقايس مع ما هو مطروح في الساحة النقدية والمعرفية في تحقيق المخطوط، ومنها الطرح الذي قدمناه في الاستعانة بخطاب العتبات النصية لتطوير مجال تحقيق وفهرسة المخطوط العربي، وقد اشتغلنا على أهم عنصرين عند أرباب التحقيق ونقاد العتبات؛ وهما تحقيق اسم مؤلف المخطوط، وصيانة العنوان وتحقيقه وتدقيقه، كما يمكن للبحث أن يمتد بنا أكثر من هذا وهو بتشغيل القسم الثاني من خطاب العتبات

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

الذي سيسهم هو الآخر في تطوير تحقيق المخطوط العربي إلى حد كبير، وهو النص الفوقي للمخطوط العربي، الذي يشتغل أساسا على روح ومختصرات وحواشي وغيرها للنص المخطوط، وهذا فتح علمي آخر سنبحث فيه إذا وجدنا قبولا من المتخصصين لمثل هذا البحث، وبالله التوفيق وإليه القصد من قبل ومن بعد.

- **هوامش البحث:**

(1) أحمد شوقي بنين ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية بالرباط، ط3، 2005، المغرب ص 320.

(2) المرجع نفسه.

(3) أحمد شوقي بنبين ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص 359-361.

(4) المرجع نفسه، ص 323.

(5) نفسه، ص 322.

(6) نفسه، ص 323.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

(7) *G.Genette, Seuils, ed. du seuil, Paris, 1987, p41-342.*

(8) المرجع نفسه، ص 10-11.

(9) *G.Genette, Seuils, ed. du seuil, Paris, 1987, p 41-42 .*

(10) عابد سليمان المشوخي، المخطوطات العربية (مشكلات وحلول) ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، 2000، الرياض، ص 33-وما بعدها.

(11) إياد خالد الطبّاع، المخطوط العربي (دراسة في أبعاد الزمان والمكان) ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، ط1، 2011، ص 201-وما بعدها.

(12) *G.Genette, Seuils, p43- 58.*

(13) إياد خالد الطبّاع، المخطوط العربي، ص 203-204.

(14) عابد سليمان المشوخي، المخطوطات العربية، ص 52.

(15) *G.Genette, Seuils, p34-58.*

(16) *G.Genette, p59.*

(17) *Leo H.Hoek , pour une sémiotique du titre,Document de Travail.Urbino.fĕvr 1973.*

(18) المرجع نفسه ص، 17

(19) أحمد شوقي بنين ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص 251.

(20) الكثير من الكتب المتخصصة في تاريخ صناعة الكتاب وتطوره، بحثت هذه الظاهرة، وقد أشار إليها (ج.جينيت) في كتابه أيضا

(21) أحمد شوقي بنين ومصطفى الطوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص 251.

(22) عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، ط1، سنة 2004، جمهورية مصر العربية، ص 153.

(23) قاسم السامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2001، الرياض، ص 206.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

(24) عباس أحمد أرحيلة، العنوان حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط، دار كنوز المعرفة، ط1، 2015، الأردن، ص 91 وما بعدها

- تجدر الإشارة أننا استفدنا كثيرا من هذا الكتاب، وكتاب العنوان الصحيح للعنوني، لما له السبق في دراسة تحقيق العنوان، غير أننا اعتمدنا على ما جاء به المشوخي في كتابه، لما له من منهجية وتسلسل في عرض ما يخص تحقيق الكتاب وتدقيقه.

(25) المرجع نفسه، ص 92.

(26) السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، ط4، سنة 1997، الإسكندرية، ص 23.

(27) *G.Genette, Seuils, ed. du seuil, Paris, 1987, p80.*

(28) المشوخي، المخطوطات العربية، ص 14 وما بعدها.

(29) المرجع نفسه.

(30) المرجع نفسه، ص 15 وما بعدها.

(31) نفسه، ص17.

(32) *G.Genette, Seuils, ed. du seuil, Paris, 1987, p70*

(33) المشوخي، المخطوطات العربية، ص 20.

(34) المرجع نفسه، ص 20 وما بعدها.

(35) نفسه.

(36) نفسه، ص 21.

(37) نفسه ، ص 21-22.

(38) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1981، 313/4-31.

- **المصادر والمراجع:**

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678

1- أحمد شوقي بنين ومصطفى الطوبي، معجم المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط، ط3، المغرب، 2005.

2- السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، ط4، الإسكندرية، 1997.

3- الشريف حاتم بن عارف العونيّ، العنوان الصحيح للكتاب (تعريفه وأهميته، وسائل معرفته وإحكامه، أمثلة للأخطاء فيه)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط1، مكة المكرمة، 1419هـ.

4- المسعدي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

5- إياد خالد الطبّاع، المخطوط العربي (دراسة في أبعاد الزمان والمكان)، منشورات الهيئة العامة السورية للكاتب، وزارة الثقافة، ط1، دمشق، 2011.

6- عابد سليمان المشوخي، المخطوطات العربية (مشكلات وحلول)، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 2000.

7- عباس أحمد أرحيلة، العنوان حقيقته وتحقيقه (في الكتاب العربي المخطوط)، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن، 2015.

8- عبد الستار الحلوجي، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، ط1، جمهورية مصر العربية، 2004.

9- قاسم السامرائي، علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2001.

- **المراجع باللغة الأجنبية:**

- G.Genette, Seuils, ed. Du seuil, Paris, 1987.

- Leo H.Hoek, pour une semiotique du titre, Document de Travail. Urbino.fevr 1973.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1678